

اسم البرنامج: ما وراء الخبر

عنوان الحلقة: دور الإعلام في دعم الدكتاتوريات العربية

مقدم الحلقة: محمد كريشان

ضيفا الحلقة:

- جمال الزرن/أستاذ إعلام في الجامعة التونسية

- وائل قنديل/ كاتب صحفي

تاريخ الحلقة: 2013/12/8

المحاور:

- طبيعة علاقة الإعلام بالأنظمة الشمولية

- منظومة إعلامية فاسدة

- سبل منع شراء ذمم الكوادر الإعلامية

محمد كريشان: أهلاً بكم مشاهدينا الكرام، في تونس يتواصل الجدل بشأن ما عُرف بالكتاب الأسود، وهو كتاب أصدرته رئاسة الجمهورية التونسية وكشف ما اعتبره تورط إعلاميين ورجال ثقافة ووسائل إعلام تونسية وأجنبية في الحصول على أموالٍ مقابل تلميع صورة نظام زين العابدين بن علي.

نتوقف مع هذا الخبر لنناقشه في محورين: ما هي الحدود الفاصلة بين المشروع وغير المشروع في علاقة الإعلاميين بنظام سياسي ما؟ وكيف السبيل لمنع شراء ذمم الكوادر القادرة على التأثير في سياق بناء أنظمةٍ سياسية جديدة تقطع مع الماضي.

منذ خروج أولى التسريبات إلى العلن في تونس قبل عدة أيام والجدل بشأن الكتاب الأسود لم ينقطع، فبينما رأى فيه البعض غيضاً من فيض في حق الشعب في معرفة من شاركوا في تضليله تحفظ آخرون على مضمون الكتاب والطريقة التي أعد بها، بيد أن الجدل بشأن الكتاب الأسود التونسي أثار بدوره جدلاً أوسع بشأن علاقة الإعلاميين بالأنظمة السياسية وسبل ضبط هذه العلاقة بحيث يظل الإعلام أداة تخدم المجتمع عوض عن أن يتحول إلى عصا في يد الأنظمة كما حدث في تونس بن علي مثلاً .

[تقرير مسجل]

حافظ مريبع: كان هذا حال أغلب وسائل الإعلام التونسي في عهد الرئيس المخلوع بن علي تطبل وتغني وتمجد وتهلل للدكتاتور؛ لم يقف الأمر عند ذلك الحد بل وصل الأمر بالبعض إلى حد الوشاية بالمعارضين وكتابة التقارير، جاءت الثورة لتجيب ما قبلها وصار أرشيف وكالة الاتصال الخارجي التي كانت تلمع صورة النظام السابق وتسوّقه أشلاءً ملقاة على قارعة الطريق، تنفس الكثير من المورطين مع الدكتاتورية الصعداء مع تلك الخطوة ليعودوا إلى تصدّر واجهة المشهد الإعلامي الجديد، لكن المفاجأة جاءت هذه الأيام مع إصدار رئاسة الجمهورية للكتاب الأسود، كتابٌ يفضح دواليب منظومة إعلامية كاملة كان يحركها نظام بن علي، يتضمن الكتاب وصفاً للأرشيف الذي عُثر عليه بالقصر الرئاسي ويذكر أسماء المتعاونين مع النظام السابق من صحفيين ومتقنين بل ويذكر حتى المبالغ المالية التي كانوا يحصلون عليها، لم يمر إصدار الكتاب في صمت فقد أثار ضجةً وجدلاً واسعاً في الوسط الإعلامي وحتى السياسي، استحسن البعض صدوره فيما هاجمه كثيرون آخرون؛ لكل أسبابه منهم من بات يخشى أن يفضح تاريخه مع النظام السابق ومنهم من يحذر من إمكانية سوء استخدام المعلومات التي وردت فيه لتثويه صحفيين شرفاء، وتصفية حسابات شخصية، أما نقابة الصحفيين فقد اعتبرت أن في الأمر توظيفاً سياسياً من قبل رئيس الجمهورية، مشددةً على ضرورة التعامل مع الأرشيف في إطار العدالة الانتقالية. حافظ مريبع لبرنامج ما وراء الخبر، الجزيرة- تونس.

[نهاية التقرير]

محمد كريشان: ضيوفنا في هذه الحلقة من تونس الدكتور جمال الزرن أستاذ الإعلام في معهد الصحافة وعلوم الأخبار بالجامعة التونسية، وهنا في الأستوديو الكاتب والصحفي وائل قنديل، أهلاً بضيفينا، نبدأ من تونس والدكتور جمال الزرن؛ كمنظومة نظام شمولي هل هناك أي شيء في هذا الكتاب الأسود ما يفاجئ حقيقةً؟

طبيعة علاقة الإعلام بالأنظمة الشمولية

جمال الزرن: لا، أكيد يعني الكتاب مهما يكن، كنا نتحدث في الكواليس عن وجود منظومة إعلامية وإخطبوط إعلامي لكن عندما نجد المسألة موثقة ومنشورة يختلف الأمر يعني، وليست مسألة تسريبات وإنما هذه وثائق موثقة وأرقام وإلى غير ذلك وبالفعل شيء مفزع كان ذلك على المستوى الداخلي أو إن كان ذلك على مستوى الشبكة الأخطبوطية الخارجية، وهنا نتساءل معناها كيف كان يتنفس المجتمع بالفعل وكيف يمكن الحديث عن الديمقراطية وعن الحريات وعن المجال العمومي أمام هذا الاستبداد

إن صح التعبير بأهم عنصر في التطور والتحديث والتنمية ألا هو وسائل الإعلام اللي هي الصحافة اللي هي حرية التعبير وحرية الرأي هذا الوقود الحيوي لأي تقدم ولأي تطور يعني اكتشفنا أنه كان يعني سمسرة وبيع وشراء ويعني معناها مسائل بالفعل تصدم، كذلك على مستوى الشبكة المحلية أو كان ذلك على الشبكة الدولية من مثقفين وكتاب وصحفيين، الآن الكتاب بين أيدي المجتمع وبين أيدي المجتمع المدني والمهنيين ورجال السياسة، العنصر الإضافي هذا يجب أن يتحول بالفعل إلى حوار وجدل اجتماعي وقوي وهام جداً ويجب أن نأخذ في المستوى الأول ليس مع أو ضد الكتاب وإنما هي الدروس المستفادة إن كان ذلك على المستوى الإيجابي أو السلبي وبالفعل كان هناك العديد من الهيئات إن كان يتعلق الأمر بالمسائل الشخصية وبالمسائل الحميمة هذا يعني بالفعل ليس سياقها، أكيد الطريقة التي أشغل بها على الكتاب تترك أكثر من تساؤل لكن دعنا من هذا، لكن أيضاً اليوم الرسالة الأساسية هي ولا شخص ولا أي مجموعة بالإمكان تستطيع أن تعيد هذه المنظومة في المستقبل وإلا فإن مآلها للكشف، الآن نرى النموذج التونسي ونتساءل كيف هو حجم الوثائق مثلاً في عهد صدام حسين أو في عهد القذافي يعني هذه الآلية التي كانت تشتغل بها الأنظمة العربية مجتمعةً وهي يعني 80% مما تسوقه وسائل الإعلام هو أجنداث للأنظمة ويعني عبر الهاتف وعبر فرض عناوين الصحف الأولى وعناوين الأخبار وإن ما كان ينشر هو نوع من أنواع القهر والتضليل الفكري واغتصاب العقول بآتم معنى الكلمة..

محمد كريشان: وتأكيداً لهذه الفكرة سيد وائل قنديل ربما تونس فوجئت لأنها معلومات نُشرت، يعني ربما هذا الحدث غير مسبوق، هل تعتقد بأن طبيعة العلاقة بين السلطة السياسية الشمولية في البلاد العربية والمنظومة الإعلامية هي تقريباً تكاد تكون مشتركة في أكثر من دولة وليس تونس فقط؟

وائل قنديل: بالتأكيد يعني أينما وجد استبداد سياسي وجد فساد إعلامي في الممارسة الإعلامية وليس من المصادفة أن كل أوجه الفساد الإعلامي مرتبطة دائماً بأنظمة شمولية بأنظمة مستبدة بأنظمة قمعية وكما تفضل الضيف من تونس وذكر نموذج صدام حسين، ثم نماذج عديدة للغاية منها دول في الخليج ومعمار القذافي و و.. وكل ذلك هو البيئة الخصبة لإفساد الإعلام، إذا أضفنا إلى ذلك أن في الأنظمة الاستبدادية الشمولية بالأساس الإعلام ليس شيئاً منفصلاً عن السلطة السياسية وبل إن السلطة السياسية هي التي تختار وتعين رؤساء التحرير ورؤساء القنوات أو رؤساء المحطات التلفزيونية وكل ذلك فبالتالي لن ندهش كثيراً إذا وجدنا كل هذه الوثائق المنشورة ..

محمد كريشان: ولكن اسمح لي لماذا دائماً التعاطي مع الإعلام أو الصحافة كحيطة واطية كما يقال، يعني في أي نظام سواء في تونس أو غيره كان هناك إعلاميون

فاسدون أو رجال إعلام ورجال أعمال وقضاة ومحامون وغيرهم، لماذا المسارعة بتقديرك لكشف هؤلاء وكأنهم هم من يدفع الثمن في أي مرحلة من مراحل الانتقال السياسي؟

وائل فتديل: يعني شوف، هو الكتاب نقل المحكي والمتداول في الأروقة وفي الكواليس إلى وثائق، ربما يكون هناك اعتراض على الشكل ولكن من حيث المضمون لا اعتراض عليه على الإطلاق، من حيث الشكل ما كان في تصوري ينبغي لمؤسسة الرئاسة التونسية أن تقوم بنشر هذا الكتاب، كان بالإمكان أن تُحيل هذه الوثائق والمستندات إلى أجهزة التحقيق في الدولة لكي يُصدر القضاء حكمه فيه ولكي تأخذ العدالة مجراها، ولكن من حيث المضمون كان لا بد ربما تأخرت هذه الخطوة كثيراً وهذا ما دفعنا فيه ثمناً باهظاً في مصر، ومنذ البداية التساؤل هنا: لماذا لم تبادر السلطات التونسية بالكشف عن هذا الفساد مبكراً للغاية في أعقاب سقوط نظام بن علي؟ ولماذا تأخرت كل هذا الوقت؟ هذه واحدة، أما من حيث المضمون فهذا جيد للغاية يعني فكرة أن يمضي الفاسد بجريمته أو بخطيئته فهذا لا يجوز أخلاقياً، وليس من العدل.

منظومة إعلامية فاسدة

محمد كريشان: هو اللافت للنظر دكتور جمال الزرن أن المطلع على هذا الكتاب يلاحظ بأن هذه المنظومة لا تتعلق فقط بصحفيين ورجال ثقافة وغيرهم من تونس، القصة تمتد إلى قنوات عربية، بعضها يقدم نفسه على أنه ممانع ومقاوم امتدت إلى كُتاب وصحفيين في لبنان في مصر في الأردن في فلسطين هل تعتقد بأن هذا الإخطبوط الممتد كان مفاجئاً لتونس وبعضها كان يتعلق حتى بنشر كتب تمجد بن علي ونظامه؟

جمال الزرن: بالفعل هي كانت منظومة على المستوى المحلي وعلى المستوى الدولي في الدول المتقدمة والديمقراطية يستعمل الإعلام فيما يطلق عليه بـ diplomacy Public يعني في العلاقات العامة والدبلوماسية من أجل التسويق لاقتصاد الدولة من أجل كسب يعني مشاريع وبيع يعني أشياء مثل فرنسا تريد أن تبيع للصين ولذلك تستعمل الترسانة الإعلامية، لكن العكس نحن نستعمل وسائل الإعلام الأجنبية والخارجية من أجل التشريع يعني للاستبداد في الداخل وهذا يعني هذه المفارقة، ليس عيباً أن نوظف وسائل الإعلام الأجنبية لكن من أجل أي هدف من أجل أي غاية، الإشكال هنا نشترى ذمم وناس أو وسائل إعلام أجنبية كان ذلك عبر الإشهار خاصة الإشهار والإعلام وأيضاً يعني عبر الضيافات وعبر العلاقات العامة وعبر أشكال فاسدة يعني معروفة تقليدياً، لكن ماذا أعطى للمواطن التونسي كل هذه المصاريف من المال العام التونسي، ماذا قدمت على المستوى الاقتصادي؟ ماذا قدمت على أي مستوى؟ لم تقدم أي شيء إلا

فقط لتلميع صورة ولتلميع صورة خاصة يعني رأس النظام بالتحديد، وهذا هو المزيج وهذا هو الخطير وهذا يعتبر يعني نوع من أنواع الاغتصاب للمال العام وأيضاً توجيه الرأي العام الأجنبي من أجل الحفاظ على امتيازات السلطة الحاكمة هنا، ونعرف أنه الآخر رمق في هذا النظام لم تتجراً العديد من وسائل الإعلام الأجنبية يعني حتى المحايدة إلى نقد النظام أو إلى القيام بتقارير استقصائية أو تعلن عن فشل النظام أو عن الأزمة التي كانوا يتخبط فيها.

محمد كريشان: فاصل قصير مشاهدنا الكرام وناقش بعده إمكانية منع استغلال الإعلام في دعم وتلميع صورة الأنظمة الاستبدادية نرجو أن تبقوا معنا.

[فاصل إعلاني]

سبل منع شراء ذمم الكوادر الإعلامية

محمد كريشان: أهلاً بكم من جديد ما زلتم معنا في هذه الحلقة التي نتناول فيها دور الإعلام في دعم الدكتاتوريات في البلاد العربية في ضوء صدور ما يسمى الكتاب الأسود في تونس، سيد وائل قنديل الحقيقة قد يجادل البعض أنه لكل عهد مادحوه وطبالوه، يعني ما كُشف في عهد بن علي قد ينطبق على حتى تونس ما بعد الثورة أو حتى مصر ما بعد الثورة أو حتى في الوقت الحالي، لكل نظام سياسي مادحوه فربما يتساءل البعض أين الإشكال أن يكون هناك موقف سياسي لإنسان أو لرجل ثقافة أو إعلام مؤيد للنظام طالما كان بعيداً عن منظومة فساد أو مقابل مالي أو غيره.

وائل قنديل: لا غضاضة على الإطلاق في ذلك، فمن حق أي صحفي أن ينحاز لمنظومة قيم سياسية يعمل وفقها أي نظام سياسي، ولكن عندما يتحول ذلك إلى وسيلة للتربح ووسيلة للتكسب، اليوم مثلاً في مطار القاهرة تم إلقاء القبض على رئيس تحرير مصري سابق لتهربه حيث كان مطلوباً ضبطه وإحضاره أمام جهاز الكسب غير المشروع والرجل بسلاسة شديدة سدد مليون جنيه كفالة لكي يخلى سبيله، يعني لا بد أن نتساءل إذا كانت هذه الملايين من أين لك هذا؟ يعني أنا أتذكر بعد ثورة 25 يناير أحد رؤساء التحرير الذين كانوا يسبحون ليلاً ونهاراً بحسني مبارك وجمال مبارك أحيل إلى جهاز الكسب غير المشروع في واقعة شهيرة جداً فيلات وقصور وما إلى ذلك، الرجل أنا اندهشت عندما عرض أن يسدد أو يتصالح مع جهاز الكسب غير المشروع دافعاً عدة ملايين من الجنيئات المصرية، نحن نعلم أن هناك إشكالية ونشكو جميعاً في مصر من تدني أجور الصحافة والصحفيين وما إلى ذلك، لا بد أن يتساءل هنا كما نقول أنه ليس الإعلام الحيطه الواطية بل لا ينبغي أن يكون الإعلام على رأسه ريشة يعني من فسد من تربح من تكسب لا بد أن يحاسب ولا بد أن يجرس، يعني قيمة هذا الكتاب أنه يجرس

وللمفارقة مثلاً أن الأسماء المصرية المذكورة في هذا الكتاب هي ذاتها الأسماء التي تؤيد انقلاب 30 يونيو الآن هم مع الاستبداد حيثما وُجد هم مع في الاستبداد في كل وقت، ليس فقط في مصر الاستبداد في كل وقت وفي كل مكان يعني هم عابرون للحدود في هذه..

محمد كريشان: ولكن من ناحية أخرى ما الذي يضمن دكتور جمال الزرن أن لا تتكرر مسائل من هذا القبيل، يعني الآن في تونس هناك صحافة صفراء ربما تكون ألعن مما كانت عليه في فترة بن علي وشتائم وسباب، ما الذي يضمن أن هؤلاء أيضاً ليسوا مرتبطين بنظام الحكم الجديد، وقد تكون لهم خباياهم التي قد تكشف لاحقاً؟

جمال الزرن: أكيد يعني أي نظام سياسي يريد أن يستهوي ويريد أن يؤثر بالمشهد الإعلامي لكن لمصلحة من؟ هل لمصلحة عامة الناس أم لمصلحة فئوية خاصة؟ هل لمصلحة الدور الإستراتيجي أم لمصالح فئوية خاصة؟ فالإشكال في الأنظمة العربية هو مثلاً 80% من مخرجات وسائل الإعلام هو بالفعل السياسي في حين أن في الأنظمة الديمقراطية 80% من مخرجات الإعلام هو من الفعل الصحفي، اليوم نريد أن نقلب المعادلة يجب على السياسي أن يحترم هذا العنصر الجديد في الانتقال الديمقراطي وفي العملية السياسية وهو حرية التعبير عن الرأي وحرية وسائل الإعلام، إذن أنا اعتبر بأن أول شخص يجب أن يترك الإعلام يتطور مع تطور المجتمع هو السياسي أي أن يكون مسؤول وأن يوفر الحصانات والضمانات الدستورية والأخلاقية والمادية أيضاً والتكنولوجية ليستغل الإعلام بشكل مستقل، أكيد يعني توجد آليات ولوبيات ويتحول الإعلام إلى قوة ضغط هذا مشروع في أي ديمقراطية ولكن في خدمة الصالح العام وتكون الحكومة هنا أو السياسيون يعني عنصر تعديلي يعدلون يعني إذا خرج الإعلام يعني في كشف أسرار أمن الدولة أو في المس بروح المجتمع يعدل السياسي الحكيم والرصين في اتجاه أن يحافظ على وحدة المجتمع وسلامته وخاصةً أمنه القومي والإستراتيجي، الإشكال أن هذه المعادلة غائبة كلياً واليوم أصبح في تونس الإعلام كما كان في الماضي أداة من أدوات إدارة الصراع وأصبح الآن أداة من أدوات إدارة الصراع السياسي الإعلام يجب أن..

محمد كريشان: هو في هذا السياق دكتور البعض يتهم حتى رئاسة الجمهورية في تونس بأنها بصدد تصفية حسابات مع قطاع الإعلام، كيف يمكن أن ننأى بهذه الشبهة عن مجال يفترض أن تعرف عنه الحقائق لكن ضمن سياق بعيد عن اتهامات من هذا القبيل؟

جمال الزرن: في تونس سيدي الكريم في تونس كل طرف سياسي كانت له ورقة ضغط من الإعلام أم مجلس النواب أو المجلس التأسيسي أو الشارع كل إنسان كانت بين يديه

ورقة استغلها وهذا الإشكال، لكن الإعلام له صفحه خصوصية لا يمكن أن يوظف لأنه ملك ويعكس كل ما في المجتمع التونسي من تعدد وتنوع لذلك علينا أن ننأى بكل التجاذب السياسي على المشهد الإعلامي لأنه فيه نحتضر الانتقال الديمقراطي ويجب أن نعكس هذا التعدد والتنوع والصراع الاجتماعي الموجود في تونس الانتقال الديمقراطي داخل وسائل الإعلام.

محمد كريشان: ولكن هل من السهل أن ننأى بالإعلام سيد وائل قنديل عن التجاذبات السياسية يعني عملية مستحيلة تقريباً؟

وائل قنديل: يعني إذا كنا نتحدث عن ثورات ربيع عربي وعن تغيير جذري في المفاهيم ومبدأ الفصل بين السلطات لا بد أن يكون الإعلام مستقلاً عن السلطة السياسية كما يحدث في كل دول العالم المتحضر، ولكن المشكلة الحقيقية أن النظم العربية تتعامل مع أجهزة الإعلام دائماً على أنها مجرد خادمت في بلاطها هي مكملة لهذه السلطة، وبالتالي كان من المنتظر بعد هذه الثورات أن يكون الإعلام هو إعلام الشعب يعني، الإعلامي لا يقل دوره ولا تقل أهميته عن دور القاضي في المجتمع هو عين المجتمع، هو الذي يحقق العدالة في الحصول على المعلومة كما يحقق القاضي العدالة في الحصول على الحقوق القانونية والحقوق المادية وبالتالي كان هذا هو المأمول بعد ثورة 25 يناير أننا كنا بصدد وأعدنا العديد من المشروعات الخاصة بتنظيم مهنة الإعلام بحيث يكون مستقلاً عن أي سلطة سياسية ولكن للأسف الشديد كل هذا ذهب أدراج الرياح، وأكرر مرة أخرى أن الإعلاميين الذين قامت ضدهم ثورة 25 يناير هم الذين كانوا الأداة المستخدمة في انقلاب 30 يونيو هذه ليست مصادفة.

محمد كريشان: شكراً جزيلاً لك سيد وائل قنديل، الكاتب والصحفي المصري شكراً لضيفينا من تونس الدكتور جمال الزرن أستاذ الإعلام في معهد الصحافة، بهذا نصل إلى نهاية هذه الحلقة دمت في رعاية الله وإلى اللقاء.